

الأحد السابع عشر بعد العنصرة
إيروثاوس أسقف أثينا، البار عمون المصري

٤ - ١٠ - ٢٠٠٩

الإنجيل لو ٦: ٣١-٣٦

الرسالة ٢ كو ٦: ١٦-١٨، ٧: ١

المجد للآب والإبن والروح القدس، الآن كل آن والى دهر الدهرين، آمين.

أحياناً أشعرُ أنني أكرّر الكلام، ولكنّ الموضوع مهمٌ جداً بالنسبة لحياتنا كمسيحيين. فإنّنا نلاحظُ أنّ الناسَ في هذه الأيامَ يهجرون القراءةَ بشكلٍ عام، وعلى الأخصّ القراءات الروحيّة. ولهذا يفقدون كلّ صلةٍ بالمسيح، وتصبح أخلاقهم متغيّرة. فلا يعرفون ما هو الموقف الحقيقيّ الذي يريده الربُّ يسوع، ماذا علّم، كيف ينبغي أن نتصرّف. ذلك أنّهم لا يقرأون الكتب المقدّسة، فلا يعرفون كلمات الربِّ يسوع، وهذه أقدسُ من أن تكون مقدّسة، لأنّه لفظها بذاته، بفتح المقدّس، حين كان على الأرض. فينبغي أن نلتقطها ونتمسك بها أوفر تمسك، ونحاول تطبيقها في حياتنا بكلّ دقّة وجدّيّة، حتى نتخلّق بأخلاق المسيح ونكونَ عن جدارةٍ مسيحيين، ولسنا بالإسم أو بسبب المجتمع، نحن مسيحيين.

وهناك مشكلةٌ كبيرةٌ اليومَ في العالم كلّه، حيث الناس يخلطون بين الجنسيّة، بين العنصريّة والقوميّة، وبين الديانة. فإذا كنت يونانيّ، فهذا يعني أنّك أرثوذكسيّ، ولكن ليس كلّ اليونانيّين على نفس الخلق ونفس المحبّة ونفس الإيمان! وإذا كنت لبنانيّ، فينبغي أن تكون مارونيّاً. المسيح لا يعرف الحدود، ولا يُحجّم في شعبٍ أو قوم. وإذا ما خرجنا إلى بلاد الإغتراب، إذا قلت إنّك عربيّ، فهذا يعني أنّك مسلم. لا يفهمون أنّك يمكن أن تكون من أيّ بلدٍ كان، ومن أيّ عنصرٍ من البشر، ولك فكرٌ مختلف، لأنّك تستشفّ تعليمك وحياتك ومواقفك من الإنجيل، من رسائل القديسين ومن

تعليمهم وحياتهم. الناس يدعون أنهم مسيحيون، خاصةً في بلادنا، حيث كلُّ شيءٍ عنوانه الأساسي: الكذب والمخادعة والمماطلة. كلُّ شيءٍ. كأن يقولوا للكاهن: "يا محترم"، وهم لا يحترمونه ولا يحبُّونه ولا يقدرُّون قيمته، ليس فقط الشخصيةً كإنسان، بل كعمل. في خدمته الكهنوتية هو مميز، لأنه يُحضرنا إلى حضرة الله، ويُنزل رحمة الربِّ علينا ونعمه في القدَّاس الإلهيِّ وفي كلِّ ظروفِ حياته. وذلك لأننا لا نعرفُ أخلاق المسيح كما ينبغي، ولا ندرسها. وينبغي أن نرجع فنقرأها مراراً وتكراراً، حتى نحفظها غيباً ونشرِّبها، ونعرف كيف نتصرَّف. هنالك إخوةٌ لا يتحابُّون ولا يتحدثون إلى بعضهم ولا يساعدون بعضهم، لكنهم يتخاصمون ويتناحرون فيما بينهم، وذلك تحت عنوانٍ أنهم مسيحيون. فكيف يصير ذلك؟! ويأتون إلى الكنيسة ليتناولوا، وهم متخاصمون! ويتصرَّفون عشوائياً كالوثنيين في أخلاقهم وحياتهم، ويأتون إلى الكنيسة فيتناولون كأنهم مسيحيون مستحقون! هذا النقص، هو بسببِ عدمِ القراءة. فالقراءةُ تنشِّطُ العقل، وتجعلُ الإنسان إنساناً يعرف ويدرك. والذي يعرف، يتحمَّل مسؤوليةً أكثر ممَّن لا يعرف وممَّن يجهل كيف يتصرَّف في حياته. كذلك بالنسبة للأمور الروحية، فالمعرفةٌ وحدها لا تكفي، بل تدفعك عندما تقرأ الكتاب المقدس أن تقفَ موقفاً مباركاً كما يليق.

يقولُ القديس بولس: "أنتم هيكلُ الله الحيِّ، سأسكنُ فيكم يقولُ الربُّ، وأسير بينكم، وأكونُ لكم إلهاً وتكونون لي شعباً". لستم قبيلة، بل أنتم شعبُ المسيح، لأنكم تتقبَّلون سُكنى المسيح فيما بينكم، وتتصرَّفون كمن يليقُ به هذا الإسم. "لذلك اخرجوا من بينهم"، اخرجوا من بين هذه الأمم التي لا تعرف الحياة المسيحية. وهذا الخروج لا يعني الإعتزال بعيداً عن الناس. لكن، وأنت في وسط المدينة، يمكنك أن تعيش مؤمناً وعارفاً بالربِّ يسوع، ومختلفاً في تصرُّفاتك عن الآخرين، كأن لا تُزعج الناس عندما تريد أن تسمع أو أن تشاهد التلفزيون، دون أن تزعج الآخرين كما يفعلون هم. كأن تُزوجَ ابنك بهدوءٍ ورويةً، دون أن تعملَ حفلاتٍ صاخبة. الناسُ يستدينون لكي يعملوا أعراساً. يا للسُّخف! ما هذه الانجازات العظيمة! وأكثر من ذلك، وهم مقصِّرون، يفرقون كلَّ

الليل ويزعجون الناس، صارفين أموالاً بلا فائدة، دون أن يعملوا فيها شيئاً جيداً حتى لأنفسهم. فبدلاً أن تنتظر الناس ليعطوك هدايا ويتصدقوا عليك، أنت أنفق على نفسك حتى تعمل بيتك كما يليق، ترتاح فيه مع زوجتك، دون هذه الكبرياء والضخامة التي تعبر عن فراغ. كيف تستقبل حياتك، وأنت مستديناً! كيف تصرفها، وأنت لا تملكها! والمسيح يطلب منك أن تكون بسيطاً، محبباً، مساعداً. كيف تخاصم الآخرين، والرب يطلب منك أن نصلي من أجلهم، أن تحبهم، أي أن تحسن إليهم! فالحب ليس مجرد عاطفة، لكنه تحرك من داخلك، من أمانيتك نحو الآخر. "تكونون لي بنيًا وبنات، يقول الرب القدير، وأقبلكم وأكون لكم أباً، لأنكم لا تقبلون أن تتنجسوا، بل تريدون أن تحيوا بحسب مشيئة الرب". وفي هذه الغربة عن المجتمع الذي يحاول أن يدنسكم، أن يشوه فيكم صورة المسيح، أن يعطل اجتهادكم، أنتم تثابرون، لذلك تستحقون أن تكونون بنيًا وبنات، وأسكن بينكم وأكون لكم أباً. "وأكون لكم أباً"، يعني أنكم تصبحون في عهدي بشكل دقيق، فلا تخشون ماذا يأتي عليكم من الضيق والصعوبة والاضطهاد، لا بل إنها تؤكد أنكم أبناء الله. والذين يريدون أن يعيشوا بتقوى، يضطهدون، كما يعلم الرسول بولس. فالشيطان لا يتركنا نرتاح، بل دائماً يحثنا لنتراجع إلى الخطيئة ولكي نموت. وهو يفرح عندما يجد الكلب منسلخين عن المسيح، متغربين عنه. لذلك يشجعنا الرسول في النهاية: "إذ لنا هذه المواعد أن نكون أبناء"، أي أن نكون تحت عنايته، في رحمته، وارثين له ولخيرات، "فلنظهر أنفسنا من كل دنس الجسد والروح، ولنكمل القداسة بخوف الله". فلنعش هذا العمر متممين وصايا الله كما يليق، مبتعدين عن كل نجاسة في الفكر والجسد، متقين من كل ما قد يطرحه العالم علينا.

كل يوم سيأتي الشرير ليعرض نفسه علينا، ليعرض أفكاره علينا. وكل يوم ينبغي أن نتذكر ذلك الوعد الذي وعدته يوم معموديتي، حين قلت: أوافق المسيح، وأرفض الشيطان وكل أعماله. كل لحظة ينبغي أن تقف في هذه التجربة لتقول: أرفضك يا شيطان، وأبصق عليك، وأصنع خصومة بيني وبينك، لأنني أريد أن أكون للمسيح. هكذا نمتلك خوف الله في قلوبنا، لأننا نشعر بحضرتة، نشعر بوجوده معنا، فنبتعد عن كل ما

يفصلنا عنه، وكل ما يدنس نفوسنا وأجسادنا. ما هو فضلك أن تحب الذين يحبونك؟ أو أن تساعد الذين يساعدونك؟ واحدةً بواحدة، ويتوازي كل شيء. لم تعمل شيئاً. لكن الذي يكون كريماً وجواداً، يكون في حالة عدم التوازن، حيث لا يستطيع أحد أن يرد له هذا الجميل، يكون عند ذلك جواداً وكريماً وصاحب نفسٍ نجيّة. فأقرضوا، أي أعطوا دون أن تستردوا شيئاً. والله الذي يرزقكم قبل أن تعطوا، سيرزقكم بعد أن تعطوا، ويزيد غلالكم وفرة. ولن ينقص عليكم شيء، لأنكم أبناء العليّ وبناته. وتكونون في هذه المحبة، مبعدين عنكم كل نانية، كل ذاتية وكل لذائذها. وهذه فيها الخطيئة، لأننا فيما نراعي أنفسنا وذواتنا وشهواتنا، نحن نبتعد عن المسيح. فيما نهملها ونصرف لخدمة الآخر ومحبتة، نحن نتعشق المسيح ونضع في يديه كل إمكانياتنا وطاقاتنا، فيباركها ويزيدها ويرجعها إلينا بشكلٍ سليم.

فليُنرِّب الربُّ القدوس، ونحن على عتبات صوم الميلاد، أن نتمثل بتواضعه العظيم، ونحاول أن نمثله ونشاركه، كل يوم، في قراءة حميمية في الكتاب المقدس، من أوله إلى آخره. لا نمل منه، ولا نتعب، ولكن نستزيد حتى نحفظه إن أمكن عن ظهر قلب. وليس ذلك لكي نحجره في كلماتٍ نرددها، بل لكي نعرف كيف نجيب عن كل موقفٍ نتعرض له في حياتنا، ونحمل فكر المسيح، لا فكرنا الأناني. واجبٌ على الأمهات والآباء، أن يقرأوا، كل يوم، ولو استعراضياً، أمام أولادهم في الكتاب المقدس، حتى يشيروا إليهم في هذه الحركة أن يقرأوا هم أيضاً، ويتعلموا كيف يتشربوا فكر المسيح وإرادته وأقواله الشريفة. إن كتاب الله المقدس يحمله الكاهن في الكنيسة، ويرفعه من على المذبح المقدس أمام كل الشعب ليقول: هذه حكمة الله، فلنتقوم بموجب هذه الحكمة. "الحكمة، فلنستقم": هذا ما يعنيه. إن كتاب حكمة الله، إنّه يسوع المسيح الذي هو حكمة الله، مكتوباً في هذا الكتاب. فلنتقوم على قياس ما يقوله الرب في الإنجيل. وليُعطينا الربُّ القدوس أن نقرأ ونفهم، وأن نعمل بموجب هذه القراءة، متعلمين أن نحبَّ الربُّ أكثر من كل شيء، آمين.

الأرشمندريت المتوحد بندلاييمون
رئيس الدير